شعر المعارضة السياسية فـــى زمن الدولة الرسوليـــــة

د/أحمد إبراهيم القديميـــــى
جامعـــــة الحديـــــــــــدة

مقدمـــــــة:

أنها اليمن صاحبة الموروث الحضارى الذى قاد إلى الرأى ونقيضه إلى درجـة وصول المرأة إلى سدة الحكم فى زمن كانت فيه عبارة عن سلعة عند الآخرين ، ولـــذلك فلا غرابة فى أن يفصح الشعر عن معارضة مثلت رأيا شجاعا وحرا فى زمن عرف فيه الشعر بالقيام بدور إعلامى موالٍ للساسة حدث ذلك فى اليمن وبالتحديد فى زمـــن بنـــى رسول الذى ازدهرت فيه اليمن فى كل مفاصل الحياة ، لينعكس ذلك على الأدب والفكر ، ومن ثم ظهر شعر معارضة لسياسة بنى رسول مدللا على شجاعة اليمنيين واســتقلاليتهم الفكرية . لقد انتقد الشعر المعارض لبنى رسول كل مظاهر الترف ، واقفــا مــع أبنـــاء الشعب الفقراء مصورا الأحداث السياسية التى أدت إلى فساد تام ، انعكس على أوضـــاع الشعب سلبا وعلى الرغم من قلة ذلك الشعر ألا أنه مثل ظاهرة مميزة ؛ لأنه حلق خارج السرب وفي حين ما كانت غالبية الشعراء يثنون على بنى رسول بكل ألوان الثناء والمدح ، لينالوا عطاياهم ظهر نفر من الشعراء ينتقدون سياستهم لينحازوا إلـــى أبنـــاء شـــعبهم البسطاء ، فحققوا شهرة واسعة ، وصلت إلى درجة التقديس مثلما هو الحال مـــع الشـــيخ أحمد بن علوان زعيم الصوفية فى اليمن ، وكذلك الشاعر الفقيه إسماعيل بن المقـــرى ، فكان هذا البحث الموسوم (شعر المعارضة السياسية فى عصر الدولة الرسولية)

استكمالا لحلقات النهوض الشامل الذى شهدته اليمن فى ذلك العصر المميـــز . وقد استعرضنا فيه اهتمام بنى رسول بالشعر والشعراء ، مبينين كيفية ظهور ذلك الشعر المعارض ، وكيف سار مع المتغيرات السياسية لينتج لنا اتجاهين هما:

١- شعر المعارضة فى عصر قوة الدولة.
٢- شعر المعارضة فى عصر ضعف الدولة.

ثم انهيناه بالخاتمة ، فالمصادر والمراجع التى استندنا عليها.

وبعـــــــــد

يعد هذا البحث البسيط لبنة على طريق أعمار الأدب اليمنى القديم ، ووضع هياكل شاملة له ، ليخرج إلى حيز الوجود بصورة منصفة بعد الإهمال الذى حاق به من قبل الباحثين وقد اعتمدنا على المنهج التاريخى فى ذلك كونه المنهج الذى به يتم أعمار أى أدب أريد له الظهور.

١- بنو رسول والشعر والشعراء :

منذ تأسيس دولتهم أدرك بنو رسول أهمية الشعر ودوره الاعلامى المؤثر فى كسب التأييد الشعبى لهم ، فما إن تربع عمر بن على بن رسول مؤسس الدولة الرسولية حتى قرب إليه الشاعر محمد بن حمير الوصابى.(١) وأغدق عليه الهبات ، ليضمن مدحه له والثناء على ملكه ومملكته ، حتى لقب الشاعر ابن حمير بشاعر الدولة الرسولية.(٢)

فمثل الشاعر ابن حمير بشعره وسيلة إعلامية أدت إلى تحقيق الشهرة للملك عمر الرسولى ولدولته الفتية الساعية إلى بسط نفوذها ، وتثبيت أركانها . وقد ظهر الدور الإعلامى للشعر واضحا من خلال مخاطبة الشاعر ابن حمير للشعب اليمنى بأن يتجهوا نحو مليكهم الملقب بالمنصور بقوله. (٣)

ميلوا إلى المنصور لا تتحدثوا   عن برمك وأبى عدى الطائيى

وكان المنصور عمر الرسولى يحرص على اصطحاب الشاعر ابن حمير فى حملاته وغزواته ، وكان ابن حمير يصور كل غزوة ، مبينا كيف حقق المنصور عمر الانتصارات .(٤) وقد حذى الملوك الرسوليون فيما بعد حذو أبيهم فى الاهتمام بالشعر ، بل زادوا إلى درجة أنهم عينوا الشعراء فى مناصب عليا فى الدولة ، وخصصوا لهم رواتب مالية ، ومن هؤلاء الشعراء نذكر الشاعر العفيف عبد الله بن جعفر (٥) كاتب إنشاء الدولة الرسولية ، والشاعر ابن فليته الحكمى، (٦)والشاعر ابن عقبه الخولانى. (٧)

وقد بلغ اهتمام بنى رسول بالشعر والشعراء حدا جعل الملك المظفر يوسف بن عمر الرسولى يعيين الشاعر سراج الدين أبو بكر بن دعاس وزيرا ومستشارا فى بلاطه. (٨) إن هذا الدعم والاهتمام بالشعر لم يكن من أجل سواد عيونهم ، كلا . وإنما كان الهدف منه سياسيا بحتا ، غرضه تسخير مواهب هؤلاء الشعراء لصالحهم ، لأن الشعر كان وما يزال يمثل بالنسبة للعرب الشريان الذى يمد القلب بالخفقان ، فهو عنوانهم ، وبالتالى فهو يؤثر فى نفوس الناس بحسب توجهه ، فما كان من بنى رسول إلا تسخيره لصالحهم .

وبالفعل وجدنا الشعر المرتبط ببنى رسول وسياستهم ، وكل ما من شأنه أن يربط بهم ، قد غزر وكثر بنسبة كبيرة ، إلى درجة أن الشعر الذى دار فى فلكهم قد صور مناسبات ختان أطفالهم ، (٩) وصور كل مظاهر الأبهه والحياة الرغيدة التى كانوا يعيشونها بأسلوب إعلامى دعائى . فلم يقتصر الشعراء على المدح ، إذ وجدنا شعر الوصف قد كثر أيضا ، فإلى جانب وصف الجيش الرسولى وآلته الحربية ، كان وصف القصور التى شيدها بنوا رسول فى تعز وزبيد غزيرا ، فقد صور حدائقها الغناء وما بها من أثاث إلى درجة أن تلك القصور كما وصفها الشعر كانت تفوق أشهر قصور التاريخ. (١٠)

أما الهجاء فكان منصبا على خصوم بنى رسول ، ليمثل مظهرا من مظاهر ولاء الشعراء لهم. (١١) وقد اتسع نطاق الشعر الموالى لبنى رسول وسياستهم ليواكب سياستهم الخارجية وعلاقتهم مع الدول الأخرى فقال ابن هتيمل فى مدح الملك المظفر يوسف الرسولى. (١٢)

وعميد مصر يطلب منك نصرة   وأخوة فى السر والإعلان

وقال ابن خمير: (١٣)

والهند والسند البعيد ثناؤه   وفيهم وأيم والله خير ثناء

لقد كثر الشعر الذى دار فى فلك بنى رسول وسياستهم بصورة ملفتة للنظر ، ومن يطالع المصادر من دواوين وكتب تاريخ الدولة الرسولية سيلاحظ ذلك السبب فى ادراك بنى رسول أهمية الشعر ودورة الإعلامى المؤثر فى كسب التأييد الشعبى ، الأمر الذى جعلهم يحرصون على كسب ود الشعراء بالاغداق عليهم والاهتمام بهم.

١- تحول سياسى ولد اتجاهين لهذا الشعر:

لا شئ يبدأ حتى ينتهى ، هذه هى قاعدة الوجود والدولة الرسولية التى زاد زمنها على قرنين من (٦٢٦ – ٨٥٨) ، كما هو معروف ، بدأت فتية وقوية فى عهد الملوك الأقوياء بداية بالمؤسس عمر بن رسول ونهاية بحفيدة الملك الناصر أحمد آخر الأقوياء . غير أن الأمور بعد ذلك شهدت تحولا سياسيا سلبيا ، تمثل فى الانحدار نحو الضعف نتيجة لتولى ملوك ضعاف وصغار فى السن ، والسبب المباشر يعود إلى إتباع بنى رسول النظام الوراثى الذى أدى إلى ذلك التحول فيما بعد.

ولما كان الأدب مرآه عاكسة لما يدور فى المجتمع من تطـور ، فـإن شـعر المعارضة الذى أفصح عن نفسه قد انسجم مع ذلك التحول وما نتج عنه من انقسام إلـى عصرين ، هما : عصر قوة وعصر ضعف . وعلى الرغم من قلة النصوص الشـعرية ذات المضامين المعارضة لبنى رسول ونظامهم السياسى قياسا إلى الشعر الغزير الـذى دار فى فلكهم ومجدهم ، ألا أن الكيف كثيرا ما يكون أفضل من الكم خصوصا إذا كـان مميزا وهذا ما ينطبق على شعر المعارضة فى عصر الدولة الرسولية . لقد ولـد ذلـك التحول السياسى من القوة إلى الضعف اتجاهين لهذا الشعر ، فكان الاتجاه الأول منسجما مع الوضع السياسى القوى فى عهد الملوك الأقوياء ، لأنه لم يتطرق إلى إحداث سياسـية مخصوصة بل كان عاما ينتقد حياة الترف واللهو التى كان يعيشها بنو رسول داعيا إلـى رفع معاناة المواطنين الفقراء وما حاق بهم من ظلم . إما الاتجاه الثانى فانسجم مع الوضع السياسى الضعيف الذى مثله الملوك الضعاف الصغار فى السن ، مما جعل حاشيتهم تعثوا فى البلاد الفساد وهذا يعنى أن هناك أحداثا سياسية أثرت على الشعب سلبا ، فصورها هذا الاتجاه إلى درجة أن الشاعر إسماعيل بن المقرى انصرف من مدح بنـى رسـول إلـى معارضتهم ، لأنه لا يوجد ملك يستحق المدح مثل سابقيه . وهكذا برز الاتجاهـان لهـذا الشعر منسجمين مع ذلك التحول السياسى من القوة إلى الضعف ، وهذان الاتجاهان هما:

الاتجاه الأول : الشعر المعارض فى عصر قوة الدولة.

الاتجاه الثانى : الشعر المعارض فى عصر ضعف الدولة.

٢- بضدها تتميز الأشياء :

لابد لكل شئ من ضد يمثل جانبا ربما لم يكن معروفا عند الـبعض ، وعنـدها تكتمل بمعرفته حلقات ذلك الشئ ليعرف كاملا ، ومن ثم يتميز أكثر فأكثر . فعصر بنـى رسول مثل أفضل عصر إسلامى لليمن بصورة عامة، غير أن هناك جوانب سلبية لبنـى رسول أدت إلى معارضتهم إلى درجة نشوب ثورات قبلية ضدهم. (١٤)

فما بالنا بظهور شعر معارض قليل فى كميته كثير فى معانيه ، مثل ضدا لـذلك الشعر الكثير الذى مجد بنى رسول ، مصورا حياة الأبهة والترف التى كانوا يعشونها فما تلك الجوانب السلبية لبنى رسول والتى أوجدت شعرا معارضا لهم؟ حرص بنو رسول منذ بداية تأسيس دولتهم على الأبهة والجاه من خلال اتباعهم النظام الملكى الوراثى ، وخلـع

الألقاب على أنفسهم المنصور ، والمظفر ، والإشراف ، والناصر ، متأثرين على ما يبدو بالعباسيين وبنى حمدان وبنى أيوب . وقد جسدوا ذلك بحرصهم على حياة الترف من خلال تشييد القصور الفخمة ولوازمها من أثاث وحدائق وخدم وحشم ، حتى أنهم كانوا يحتفلون بصورة استفزازية للشعب بختان مواليدهم كما مر بنا . وقد صور الشعر الذى دار فى فلكهم كل تلك المظاهر إلى جانب وصفها وتدوينها فى كتب التاريخ ، ولم يقف الأمر عند ذلك الحد إذ اعتمد بنو رسول فى تسيير أمور دولتهم مدنيا وعسكريا على عناصر أجنبية من مصر والشام. (١٥) وتجاهلوا العنصر الوطنى مما مثل استفزازا لأبناء الشعب اليمنى ، خصوصا عندما أمسكت تلك العناصر بمقاليد الأمور بالقهر والفساد نتيجة تولى ملوك ضعاف وصغار فى السن ، بعضهم لم يصل إلى الحلم. (١٦)

فولد ذلك شعورا بأن الوطن اليمنى يحكمه أجانب ، خصوصا أنه كان يحوم جدل حول نسب بنى رسول ، فبينما يقولون أنهم ينسبون إلى الغساسنة القحطانيين ، (١٧)

كان هناك من ذهب الى أنهم ليسوا بعرب على الإطلاق ، (١٨) كل ذلك مجتمعا قد أوجد رأيا مضادا بالشعر ، ليؤكد أن هناك نفراً من الشعراء كانوا شجعانا وغيورين ، ليفصحوا عن ذلك بأشعارهم التى عارضت الدولة الرسولية منذ بدايتها ، لقد أدت تلك الجوانب السلبية عند بنى رسول إلى وجود تيار ضد كان يجب أن يقول رأيه بمنتهى الوضوح والشجاعة ، غير أنه هناك جانب إيجابى مثل مهمازا حرك همه الشعراء ليعارضوا سياسة بنى رسول ذلكم هو الحراك الفكرى الذى شجع عليه بنو رسول ودعموه ليصرف الناس عن السياسة ، فولد شعرا معارضا . وقد تمثل ذلك الحراك فى المناظرات الفكرية التى كانت أغلبها تدور حول الدين ورأى المذاهب فى قضاياه ، وكان للصوفية والفقهاء دورهم الفاعل فى تلك المناظرات. (١٩) وكل ذلك قد أوجد الرأى ونقيضه ، وشجع عليه لينسحب ذلك على الشعر أيضا ، خصوصا إذا ما علمنا أن الشعراء كانوا من أعلام الصوفية ، وكذلك الفقهاء من أمثال الشيخ الصوفى الشاعر أحمد بن علوان ، والفقيه الشاعر إسماعيل بن المقرى . ومما هو معروف عن الفكر الصوفى أنه يعتمد على الزهد والابتعاد عن ملذات الدنيا إلى درجة التقشف ، لذلك وجدنا الشعر المعارض لبنى رسول قد برز أكثر وأوضح عند الصوفية ، وعلى رأسهم الشيخ ابن علوان الذى عرف عنه الانحياز للشعب وبالذات الفقراء منهم ، إلى درجة التوحد بوجدان صادق مع هموم

الفقراء وانتقاد بنى رسول بتأنيب ، وتوبيخ صريح . وقد شجع ذلك الشعراء الفقهاء من أمثال إسماعيل بن المقرى ليعارضوا بنى رسول وينتقدوهم بعد أن كانوا يمدحونهم ويثنون عليهم من أجل إدراك شهرة الشعراء الصوفية ، وبالذات ابن علوان الذى وصلت شهرته إلى حد التقديس كما هو معروف ؛ لأنه انحاز إلى أبناء الشعب ، وابتعد عن التردد على أبواب السلاطين ، وقد ترجم ذلك بشعره ، ويمكن أن نجمل ما سبق بالقول إن الضغط ولد انفجارا . فالضغط هو تلك الجوانب السلبية لبنى رسول من حياة ترف وأبهة إلى القهر والاستفزاز نتيجة الاعتماد على العناصر الأجنبية وتصرفاتهم الاستفزازية فى مقاليد الأمور إما الانفجار ، فهو ذلك الشعر المعارض القليل بكميته والكثير بمعانيه ومدلولاته . أما الحراك الفكرى فمثل الجذوة التى ساعدت على تحريك همه الشعراء ليعارضوا بنى رسول بشعرهم وعندها تكتمل حلقة مفقودة تمثلت فى الرأى الآخر بالشعر لتحقيق مقولة بضدها تتميز الأشياء.

أ-الاتجاه الأول : الشعر المعارض فى عصر قوة الدولة:

اتضحت قوة الدولة الرسولية من بدايتها من خلال قوة زعمائها حتى وفاة الناصر أحمد الرسولى ، تلك القوة المعنوية والمادية التى ذكرتها كتب التاريخ ، وها هو ذا شعر المعارضة يجسدها من خلال الانتقادات العامة للترف الذى عاشه بنو رسول ، والتباكى على الفقراء وما حاق بهم من ظلم . فها هو ذا الشيخ الزعيم الشاعر علوان الجحدرى الواسع النفوذ قبليا يؤكد استعداده لمحاربه الملك عمر الرسولى مؤسس الدولة الرسولية الذى لقب بالمنصور فيما بعد وكان يلقب بنور الدين ، بقوله. (٢٠)

من تاب عن حرب نور الدين من جزع ... فأننى عنه ما غمرت لم أتب

إذ لم نجد هذا أن البيت الذى خصص وجاهز بالمعارضة بالاسم ، ولكنه كان قبل أن يتمكن عمر الرسولى ويؤسس دولته ، لأنه بعد أن أسس دولته تلقب بلقب آخر هو المنصور، ليعطى دلالة على انتصاره فى بناء دولته الفتية وعندما توطدت أركان الدولة لم يجد الشعر المعارض إلا الحديث عن أمور عامة ، مثل حياة الترف التى عاشها بنو رسول ، مع التطرق إلى معاناة الناس الفقراء . وقد صدر هذا الشعر من شخصية عرفت بعزوفها عن الملذات والزهد فى الدنيا عن طريق التصوف ، لتحقيق شهرة شعبية واسعة وصلت إلى درجة التقديس ، ذلكم هو الشاعر الشيخ أحمد بن علوان.

لقد استعمل الشاعر أسلوب الأمر محذرا الملك الرسولى من الغرق فى ملـذات الدنيا ، طالبا منه تصحيح أخطائه فى حق الشعب بقوله. (٢١)

قف بين نفسك والدنيا على مهل	والناس أنت ودنيا عمرك الزمن
هذى تهامة لا دينار عندهـم	ولحج أبين بل صنعاء بل عدن
فما ننوب سكان الجبال وهـم	جيران بيتك والأحلاف والسكن
فأنظر إليهم فعين الله ناظرة	هم الأمانة والسلطان مؤتمن

إلى أن يوبخ الملك ، معيرا أياه بتشييد القصور ، منكرا عليه جمع المـال هـو وحاشيته الفاسدة التى نهبت المال العام ولم يسألهم من أين لك هذا ، مؤكدا أن جمع المال ضار بمعيشة المواطنين واقتصاد البلاد.

غار عليك غمارات مشيـدة	وللرعية دور كلها دمـن
لا تفرحن بجمع المال كيف أتى	حاشا وعقلك راجح فطـن
وكلما زاد فاعلم أنه عنـى	على الرعية أو ظلم به فتـن
ترى الألوف ولا تستفت جامعها	أنى أتت وبأى الحكم تختـزن

فمن خلال الأبيات تتضح شجاعة الشاعر فى الطرح ، وبصورة واضحة كونـه رجل دين صوفى يمتلك قاعدة جماهيرية كبيرة بدليل استعماله أساليب الأمـر والتـوبيخ بقوله (قف، عار، لا تفرح).

غير أنه استعمل اللطف بقوله (حاشا وعقلك كيس فطن) . إن ذلك يجسد أيضـا قوة الملك الذى انتقده الشاعر، ومن هنا يتبين أن النقد كان عاما ، ولا توجد قضية سياسية معينة أو حادثة ما ، وهذا هو اتجاه ذلك الشعر المعارض فى عصر الملـوك الأقويـاء ، ودليلنا فى ذلك تغير خطاب الشاعر علوان الجحدرى الذى كان معروفا بمعارضته لبنـى رسول ، إلا أنه لم يجد الانتقاد حالة الظلم التى عاشـها المواطنـون بصـورة عامـة لا تخصيص فيها . إذ وجدناه يخاطب الشعب بلغه المفرد بأن لا يشتكى إلا إلـى منصـف بأسلوب تلميح بأن بنى رسول ظالمون مؤكدا أن الأمر لله وحده ، وليس لهم من غير ذكر لبنى رسول لأمن قريب ولا من بعيد. (٢٢)

فى تشك ما لاقيت من غر منصف	إلى مثله لكن إلى منصف تشكى
فما الأمر إلا للذى سير الورى	وسيرهم فى لجة البحر بالفلك

وموجدهم من غير وجدان سابق   وفعنهم بعد التكاثر بالهالك

أن الأبيات الثلاثة نطف بها زعيم قبلي قوي ، ومع ذلك لم يجاهر بـذكر حتـى اسم بني رسول ، فما بالنا بذكر اسم الملك ، وهذا دليل على قوة بني رسـول المعنويـة الممثلة في القدرة القيادية والقوة المادية الممثلة في الجيش الذي سيطروا به علـى أكبـر رقعة جغرافية وصلت إلى ظفار ، خصوصا إذا ما علمنا أنهم جاءوا إلى الشاعر في بيته لضمان كسبه إلى صفهم لتتضح قوتهم المعنوية من خلال الحكمة والسياسة . إما الشاعر بن علوان بالرغم من أن بني رسول كانوا يقدرونه ويجلونه لقاعدته الجماهيريـة ودورة المؤثر، إلا أنه استمر في معارضتهم ولكن معارضة كما عرفنا بصورة عامة مـن دون تخصيص . ففي الأبيات الآتية ينتقد القضاة الذين يصدرون الأحكام جزافا ، ويضـغطون على الناس بالإقرار بجرائم لم يرتكبوها. (٢٣)

ويقصدون به القاضي فينطقه   أقرر وكل مقال قاله كتبا

وكيف أقرر من أن يقر مضى   به إلى السجن أو الاغلال أو ضربا

والله يعلم والقاضي وكاتبـــه   وشاهداه بأن الحكم قد كتب

إن الأبيات الثلاثة انتقدت القضاء والقضاة في عصر بني رسول ، ولم تذكر بني رسول على الإطلاق ، وكنها واضحة الدلالة على أن المقصود بالانتقاد هم بنو رسـول ، وكني بأسلوب تلميح ، يمثل اتجاه ذلك الشعر المعارض في عصر قوة الدولة أما الشاعر الفقيه اسماعيل بن المقرى فيبدو أنه قد تأثر بابن علوان ، وتشجع به لأنه قبل انتقاده بني رسول وكان قد مدحهم . فها هو ذا يضطلع بدوره كعالم دين ، منتقدا بني رسول بـأنهم ظالمون جائرون في الظلم ، ويسعون إلى جمع الأموال من غير ذكر لا من قريب ولا من بعيد. (٢٤)

وقد وعدوا بالعدل لكن بوعدهم   ازداد ازدياد المال من غير مهله

فزاد بهذا جورهم وتناقصت   عليهم به الأموال حتى اضمحلت

ولو مهلوا الوعد الذي وعدوا به   تضاعف أموالا بالقرب مدة

إلى أن يسوق حكمه متأثرا بكونه فقيه وعالم ، مفاده أن الذي لا يـدبر الأمـور بأحسن طريق ، وهي العدل ينقلب عليه محبوه بالعداوة :

ومن لم يدبر مله حسن رأيــــه   ولم يدفع السئ بحسن طريقة

رأى ضد ما يرجوه من حيث يرتجي وأصبح من عاداه أهل المودة

إن المقصود بذلك في الأبيات هم بنو رسول ، ولكن لم يذكرهم الشاعر بالاسم .

أما الشاعر القاسم بن هتيمل فقد تعمق في معارضة بني رسول ، لأنه كان بعيدا عنهم ، فقد كان يعيش في المخلاف السليماني مسقط رأسه ، إذ وجدناه يخاطب الشعب اليمني داعيا إلى الخروج عليهم مصرحا بأنهم أعاجم وليسوا عربا كما زعموا ، منوها بحاشيتهم من الأتراك ، وربما قصد بني رسول بذلك (٢٥)

نمتم وعظم حال العجم كونكم صدر تم وهم في داركم صيد

وإذ عنت فرق الأتراك واعتقدت بالسيف ما لم يكن بالحق يقتصد

لا تهملوا فرصة في اليوم ممكنة فقد يجئ بمالا تشتهون غـــد

وبالرغم من أن الأبيات لم تذكر بني رسول بالاسم ، إلا أنها قد جعلت الملك المظفر يوسف الرسولي يهدر دم الشاعر. (٢٦)

وهذا دليل على قوة ذلك العصر الذي تجلى من خلال الملوك الأقوياء ، ليتجه شعره المعارض هذا الاتجاه من خلال الانتقادات العامة دون تخصيص ، أو ذكر أحداث بعينها.

ب-الاتجاه الثاني: الشعر المعارض في عصر ضعف الدولة:

صور هذا الاتجاه ضعف الدولة الرسولية عندما تولى ملوك صغار بعضهم لم يصل إلى الحلم ، تصويرا صادقا . إذ وجدنا الأحداث المضطربة وما صاحبها من فساد جراء استفراد حاشية الملوك بمقاليد الأمور بطرق استفزازية وقد بدأت حالة الضعف عقب وفاة الملك الناصر أحمد الرسولي ، وتولى اسماعيل ابنه مقاليد الأمور وهو صغير لم يصل بعد إلى الحلم ، بل لم يختتن بعد ، مما أدى إلى تولي حاشيته ، ليسود الفساد وتتفرق الآراء وينهب الضعيف وها هو ذا ابن المقرى ، يؤكد ذلك في شعره المعارض بكل مصداقيته (٢٧)

فألقى رداء الملك عنه اللهم غلام حديث السن لم يأته الحلم

تصرف قوة بالخلاف ما لهـم لما وضح الرحمن في أهلها علم

حتى أن السلطة نفسها اشتكت:

فأمضوا بها أحكامهم وهي تشتكى وآذانهم عما اشتكت منهم صم

إنها أحداث سياسة انعكست على الشعب سلبا جراء الاضطرابات التى نتجت عن عدم وجود رأس مدبر قادر على ضبط الأمور ، وهذا ما لم يوجد فى الاتجـاه السـابق للشعر المعارض. لقد كان الملك عبارة عن صورة فيما الأمر والتـدبير كـان للحاشـية المتنفذين. (٢٨)

وما كان إلا صورة يحملونها على — بعض ما يهوون لابعض ما يهوى

فدبر أمر الملك من لم يكن له — سجايا الملوك الصيد والهمم العليا

ثم ضرب الشاعر ابن المقرى مثلا على فساد الأحوال السياسية فـى الـبلاد ، حينما دبر أمورها جماعة من حاشية الملك عبد الله الرسولى الذى كان صغيرا أيضا مثل سابقه. (٢٩)

إذا شارك الرامى بأسهمه يد — سوى يده أخطت ولم تحسن الرميا

أنه مثل يدل على أهمية الزعيم القادر على اتخاذ القرار بحزم ونضج بدلا مـن التخبط فى اتخاذ القرار نتيجة تصرف الحاشية ، واختلاف الأهواء ، لأن الملك غير قادر كونه صغير السن ، فهل كان مثل ذلك موجودا فى عهد الأقوياء؟ كلا.

ثم عرج الشاعر ابن المقرى فى انتقاد الأحوال السياسية ، وما آل إليـه الأمـر الفاسدين الذين نهبوا الشعب ، مصورا بطونهم ، وكيف أصبحوا أغنياء فيما الشعب جائع ، مؤكدا أنهم كانوا يلهثون وراء مصالحهم فقط ، وتركوا مصالح الشعب.

وكل يجر النار منهـــم — فعاشوا وخلوا قرص غيرهم نيا

وهذا هو الأديب عبد الله بن المبارك يصور حالة الضعف التى كان عليها الملك الصغير مؤكدا أنه لولا رجال الدين لأكل القوى الضعيف. (٣٠)

الله يدفع بالسلطان معضلة — عن ديننا رحمة منه ودنيانا

لولا الأئمة لم نأمن لنا سبل — وصارا ضعفنا نهبا لأقوانا

تلك أهم اشعار المعارضة السياسية التى صورت الأحداث السياسية نتيجة ضعف الدولة جراء تولى ملوك صغار ، مما أدى إلى استفراد حاشيتهم بمقاليد الأمور ، فعـاثوا الفساد فى البلاد حتى انتهت الدولة كما هو معروف فى (٨٥٨ هـ) على يد بنى طاهر ، وكان هذا الشعر قد اتجه منسجما مع ذلك الضعف من دون جودة فنية ، لأن هدفه سياسى يحمل دلالة تلك الحالة المتردية فى البلاد.

الخاتمـــــة

١- تجلى حرص بنى رسول على كسب التأييد الشعبى لهم مــن خــلال اهتمــامهم بالشعر والشعراء.

٢- بلغ اهتمام بنى رسول بالشعراء حدا جعلهم يعينونهم فى مناصــب عليــا فــى الدولة.

٣- كان حرص بنى رسول على الأبهة والتــرف مــن دواعــى ظهــور الشــعر المعارض.

٤- مثل جلب الأجانب لتسيير أمور البلاد استفزازا لليمنيين ، ومــن ثــم ظهــرت المعارضة القبلية والشعر المعارض.

٥- انسجم الشعر المعارض مع الواقع السياسى مما أدى إلى ظهور اتجاهين لــذلك الشعر.

٦- مثل الاتجاه الأول للشعر المعارض حالة قوة الدولة لينتقد أمورا عامة ، مثــل الترف والظلم بدون تخصيص.

٧- مثل الاتجاه الثانى للشعر المعارض حالة الضعف للدولــة ليصــور الأحــداث السياسية المضطربة وانتقاد الملوك الصغار.

٨- كانت حالة الفساد جراء استفراد حاشية الملوك الصغار أهم مواضــيع الشــعر المعارض فى اتجاهه الثانى.

٩- تصدر الصوفية والفقهاء شعر المعارضة كونهم علماء دين لابــد أن يصــدعوا بالحق.

١٠- كان الشعر المعارضة باتجاهيه قليلا من حيث الكم ولكنه كثيــر مــن حيــث الدلالة والمعنى.

١١- لا توجد جودة فنية لذلك الشعر ، لأن هدفه سياسى صــرف الشــعراء عــن الاهتمام بالجودة الفنية.

١٢- عزز هذا الشعر المعارض تميز ذلك العصر.

المصادر والمراجع

١- ينظر ديوان الشاعر محمد بن حمير تحقيق القاضي الأكوع دار العودة بيروت، ط١/ ١٩٨٥م ، ص ٢١.
٢- نفسه ، ص ٢٢.
٣- نفسه ، ص ٢٤.
٤- نفسه في أكثر من موضع.
٥- مصادر الفكر الاسلامي في اليمن (عبد الله الحبشي) مركز الدراسات والبحوث اليمني- صنعاء د.ت ، ص ٣٢٢.
٦- ينظر الأعلام ، خير الدين الزر كلي دار العلم للملايين (د.ت.ج) ١، ص ٢٢٣.
٧- ينظر مطلع البدور ، مخطوطة للقاضي ابن أبي الرجال (ص ١٠٧) ، وكذلك حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول (عبد الله الحبشي) (مركز الدراسات والبحوث، د.ت)، ص ٢٠٢.
٨- مصادر الفكر الاسلامي في اليمن ، ص ٣١٩.
٩- ينظر العقود اللؤلؤية في أخبار الدولة الرسولية ، وللخزرجي تحقيق محمد بسيوني عسل دار الأدب، بيروت (ط٢ - ١٩٨٠)، جـ٢، ص ١٢١.
١٠- نفسه في أثر من موضع من الجزئين .
١١- ينظر ديوان ابن هتيمل تحقيق محمد العقيلي دار الكتاب العربي القاهرة (ط١-١٩٦١م، ص ١١٩، ١٢١، ١٢٢)وكذلك ديوان ابن حمير (ص ٩٠، ٩٢، ٩٤)
١٢- ديوان ابن هتيمل ، ص ١٢٣.
١٣- حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول، ص ١٧٤.
١٤- ينظر غاية الأماني في أخبار القطر اليماني (يحيى بن الحسين) تحقيق سعيد عاشور دار الكتاب العربي ، القاهرة (١٩٦٨م في أكثر من موضع).
١٥- ينظر بهجة الزمن في تاريخ اليمن (عبد الباقي اليماني تحقيق مصطفى حجازي دار الكلمة صنعاء ، ط٢، ١٩٨٥م، ص ١٣١.

١٦- ينظر تاريخ الدولة الرسولية (مؤلف مجهول) ، تحقيق عبد الله الحبشي مطبعة الكتاب العربي – دمشق ١٩٨٤م في أكثر من موضع.
١٧- ينظر طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب ، تأليف الملك الأشرف الرسولي تحقيق ك-ستر ستين- دمشق ١٩٤٩م تقديم صلاح الدين المنجد، ص ٨٩.
١٨- ينظر الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي ، مكتبة الحياة بيروت (ط.د.ت، ص ٢٠٢)
١٩- السلوك للجندي تحقيق القاضي الأكوع دار التنوير بيروت (ط ١-١٩٨٩م، ج٢، ص ١٩٧)
٢٠- ديوان ابن علوان المسمى الفتوح ، تحقيق عبد العزيز سلطان مركز الدراسات والبحوث اليمني ١٩٩٢م، ص ٥٠٨.
٢١- غاية الأماني ص ٤١٦ ، والتصوف عند ابن علوان عبد الكريم قاسم سعيد مكتبة مراد صنعاء ١٩٩٧، ص ٣٨.
٢٢- التصوف عند ابن علوان ، ص ١٦.
٢٣- ينظر حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول ، ص ٢٥٧.
٢٤- ينظر درر النحور عبد الولي الشميري مؤسسة الإبداع صنعاء (ط١-١٩٩٧م، جـ٢، ص ٩٨)
٢٥- نفسه ونفس الصفحة.
٢٦- إسماعيل المقري حياته وشعره ، طه أبو زيد مركز الدراسات والبحوث اليمني (١٩٨٦م، ص ٢٩٠)
٢٧- نفسه ونفس الصفحة.
٢٨- نفسه ونفس الصفحة.
٢٩- نفسه ونفس الصفحة.
٣٠- قرة العيون في أخبار اليمن الميمون ، ابن الديبع تحقيق القاضي الاكوع- بيروت (ط١- ١٩٨٨م، ص ٣٩٣)